

كمال الدين وتمام النعمة

[10] من زعم أنه يجوز أن تكون في وقت واحد أئمة كثيرة، وقد اقتصر اﷲ عزوجل على الواحد، ولو كانت الحكمة ما قالوه وعبروا عنه لم يقتصر اﷲ عزوجل على الواحد، ودعوانا محاذ لدعواهم، ثم إن القرآن يرجح قولنا دون قولهم، والكلمتان إذا تقابلتا ثم رجح إحداهما على الأخرى بالقرآن، كان الرجحان أولى. لزوم وجود الخليفة: ولقوله عزوجل: " وإذ قال ربك للملائكة - الآية " في الخطاب الذي خاطب اﷲ عزوجل به نبيه صلى اﷲ عليه وآله لما قال: " ربك " من أصح الدليل على أنه سبحانه يستعمل هذا المعنى في أمته إلى يوم القيامة، فإن الأرض لا تخلو من حجة له عليهم، ولو لا ذلك لما كان لقوله: " ربك " حكمة وكان يجب أن يقول: " ربهم " وحكمة اﷲ في السلف كحكمتهم في الخلف لا يختلف في مر الأيام وكر الاعوام، وذلك أنه عزوجل عدل حكيم لا يجمعه وأحد من خلقه نسب، جل اﷲ عن ذلك. وجوب عصمة الامام: ولقوله عزوجل: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة - الآية " معنى، وهو أنه عزوجل لا يستخلف إلا من له نقاء السريرة ليبعد عن الخيانة لانه لو اختار من لا نقاء له في السريرة كان قد خان خلقه لانه لو أن دلالة قدم حمالا خائنا إلى تاجر فحمل له حملا فخان فيه كان الدلال خائنا، فكيف تجوز الخيانة على اﷲ عزوجل وهو يقول - وقوله الحق -: " إن اﷲ لا يهدي كيد الخائنين " (1) وأدب محمدا صلى اﷲ عليه وآله بقوله عزوجل: " ولا تكن للخائنين خصيما " (2) فكيف وأنى يجوز أن يأتي ما ينهى عنه، وقد غير اليهود بسمه النفاق، وقال: " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " (3). * (هامش) (1) يوسف: 52. (2) النساء: 105. (3) البقرة: 44. (*)